تينة الجبل !

للأستاذ أحمد الصافي النجفي

[... وهذه طرفة ثانية* من طرائف « الصافي » نقدمها للدكتور طه حسين بك . ولعل من الخير أن نذكر أن (الدكتور) ينكر على شعرائنا المحدثين فيما ينكر عليهم انعدام « الوحدة الفنية » في أكثر منظوماتهم . ولقد فهمنا من محاوراته معنا أن من أظهر خصائص الشاعر الأصيل في رأيه وضوح المثل الأعلى الذي يدور عليه فلك وحي الشاعر ، واستحضاره في فترات الخلق والانتاج . وليس هنا محل مناقشة الدكتور في هذا الرأي ؟ ولكني أضع يده على هذه الطرفة البارعة التي تمثل مذهبه في الشعر أصدق تمثيل

و (تينة الجبل) شجرة عجيبة شاذة معروفة في سورية لا يطيب لها أن تنمو وتستطيل إلا في جو قاس من العزلة والتوحد والانزواء ، فتراها بعيدة عن مجاري المياه العذبة والأعشاب الندية والطيور المغردة ، فهي تعيش دائماً في صمت وسكون . ولكن أي فوز تناله يوم عرض الثمار ؟ هذا ما نترك الاجابة عنه لحضرات القراء وهم ينعمون بتلاوة هذه القصيدة الرمزية البارعة]

القدس — عبد القادر جنيدي

نبتتْ في الجبال دَوحة تِينٍ ... وقفت مثل وقفة الجبار

أَلِفت وحشة الدجى واستمرّت ... في صراع مضنٍ مع الإعصار

فهي أخت الثلوج والأمطار ... وهي نبت الفَـــواء والتَّزار

وهي تحيا كراهب في قفارٍ ... دون دَيرٍ يضمه أو دار

وإذا ما هفتْ لنجوى سمير ... رنَّ في سمعها صدى الأدهار

أينما تلتفتْ فليس تلاقى ... من سمير لها سوى الأحجار

حرمتها يد الطبيعة حتى ... من غناء الخفيف في الأسحار

لم تظلّل غصونُها ندماء ... لا ولم تُسقَ منهم بعقار

وهي لم تستمع لنجوى حبيب ... بين وما أعلناه من أسرار

لا ولا أمّها هزارٌ يغنى ... فانثنى سمعها بشدْو الهزار

ما وعتْ حين أينعت للعصا ... غير سوى لحن نقرة المنقار

ما جلتْ جسمها ليوم ازدهاء ... أو رأت وجهها بنهر جار

فهي تبدو كأشعث ذي سفار ... وهي تحكي فلاّحة في القفار

أنفت من تمايل واختيال ... وسمتْ عن تجمّل وازدهار

أصبحت لا ترى سوى البرّ حلياً ... لا ولم تشتمل بغير الوقار

إن تردّى دوح الرياض اخضراراً ... فهي لا ترتدي بغـــير الغبار

لم تفاخر بالمجد دوحاً ونالت ... قصب السبق يوم عرض الثمار

ولو أني أتيت للدوح باسم ... قلت هذي أميرة الأشجار

فهي بنت الجبال ذات وقار ... وهي بنت الصخور ذات اصطبار

وهي تسعى للـــبرّ دون ضجيج ... وهي تعطى الخيرات دون افتخار

وهي طيّ الخفاء تدأب كدّحاً ... مستمراً في ليلهـــا والنهار

تصهر الشمس رأسها كل صيف ... وتلاقى الشـــــتا بجسم عار

قـــد تلقّت حوادث الدهر تترى ... دون أن تشتكي من الأقدار

ما الذي ساقها لنفع البرايا ... دون ما دافع ولا إجبار

هم ذروها إن أطعمتهم وإلا ... قطعوها فعذّبت في النار

كم لها من يد علينا ولكن ... ما عليها يدٌ لغير الباري

لم تزل تأكل التراب ولكن ... تطعم الخلق أطيب الأثمار

ليتنا مثلها فنعطى جَنانا ... لا لنفع يُرجَى ولا استثمار

وأراني كالدوح شأناً ولكن ... ما جَنَا دوحتي ســـوى الأشعار

ولكلٍّ في الكون شأنٌ به خُصّ ... وخُصّ الفتـــــاء بالأطيار

أحمد الصافي النجفي

(*) راجع عدد (الرسالة) رقم ٥٢٣ .